العلامة الأديب الصوفي الشيخ محمد نور بن برمة البيلاوي حياته وشعره 1919-1983

د. محمد النظيف يوسف(*)

• **مُلخص:**

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على علم من أعلام المنطقة التي شهدت حضارة وأدبا وثقافة عربية، والتعرف على شخصية عاشت في هذه المنطقة وتعلقت بالعلم والأدب وأنتجت في مجال الشعر أعمالا قيمة لم يتم التنبه إليها ودراستها وتحقيقها، ومنها ثلاث قصائد تم تخميسها من قبل الشيخ محمد نور على الطريقة المعروفة في ذلك الوقت.

وتأتي أهمية هذا البحث من أنه يقدم نموذجاً من أعلام تشاد الذين قرضوا الشعر العربي في بيئة بعيدة عن العالم العربي بمفهومه الحالي، وضرورة التعرف على نتاجهم وأدبهم شعرا ونثرا، وهو نتاج لم يأت عن فراغ، بل دليل جهود قام بها رجال حرصوا على نشر العلم والأدب باللغة العربية لغة المسلمين التي يؤدون بها شعائرهم الدينية، وعن طريقها يتعرفون على نتاج الحضارة من علم وأدب، وهو يعد تأصيلا لواقع الشعر والأدب العربي التشادي الذي يشهد اليوم نهضة وتطورا كما وكيفا، يشهد على ذلك كم الدواوين الشعرية التي صدرت في السنوات الأخيرة، وهناك الكثير الذي لم يطبع حتى الآن.

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي في التعريف بهذا العلم الأدبي ونتاجه الذي خلفه من المخطوطات وسينقسم إلى ثلاثة أقسام سيتحدث أولها عن سيرة حياة الشيخ محمد نور بن محمد برمة والبيئة التي نشأ فيها وتأثره بوالده، وسيتحدث ثانيها عن نماذج لقصائده ودراستها وتحليلها خاصة القصائد التخميسية لمعرفة قيمتها الأدبية الجمالية، أما ثالثها، ففيه مقارنة بينه وبين آخرين من علماء وأدباء قرضوا الشعر في المنطقة نفسها التي عرفت هذا النوع من الشعر العربي وقبل ذلك بدأت بمدخل الى مملكة باقرمي الاسلامية ، ويختم البحث بخلاصة وتوصيات.

الكلمات المفتاحية: العلامة، الأديب، مخطوط، الشعر

(*) محاضر بكلية الآداب الاعلام والفنون بجامعة الملك فيصل بتشاد

The Sufi writer Sheikh Muhammad Nour bin Burmah Al-Bilawi: his life and poetry 1919-1983

Dr. Muhammad Nazif Youssef (*)

- **Abstract**

This research aims to shed light on one of the notables of the region that witnessed Arab civilization, literature and culture, and to identify a personality who lived in this region and was attached to science and literature and produced valuable works in the field of poetry that had not been noticed, studied and investigated, including three poems that were anthologised by Sheikh Muhammad Nour according to the method known at that time.

The importance of this research comes from the fact that it presents an example of the notable figures of Chad who wrote Arabic poetry in an environment far from the Arab world in its current sense, and the necessity of getting to know their production and literature in poetry and prose, which is a product that did not come out of nowhere, but rather is evidence of efforts undertaken by men who were keen to spread science and literature in Arabic language the language of Muslims in which they perform their religious rituals, and through it they learn about the products of civilization in terms of science and literature, it is considered a root of the reality of Chadian poetry and Arab literature, which today is witnessing a renaissance and development in quantity and quality that is attested by the number of poetry collections that have been published in recent years, and there are many which has not been printed yet.

In this research, I followed the descriptive and analytical approach in introducing this literary science and its resulting manuscripts, and it will be divided into three sections, the first of which will talk about the biography of Sheikh Muhammad Nour bin Muhammad Barmah and the environment in which he grew up and his influence by his father, and the second will talk about examples of his poems and their study and analysis, especially the quincunx poems, to know Its literary and aesthetic value. As for the third, it includes a comparison between him and other scholars and writers who wrote poetry in the same region that knew this type of Arabic poetry, and before that it began with an introduction to the Islamic kingdom of Baguirmi, the research concludes with a summary and recommendations.

Keywords: scientist, scholar, writer, poetry.

(*) Lecturer at the College of Arts, Media and Arts, King Faisal University, Chad

- **مقدمة:**

تناولنا في هذا البحث حياة أحد الأعلام المعروفين بالعلم والورع وهو الشيخ محمد نور بن الحاج محمد برمة البيلاوي البرناوي من أبرز علماء وأدباء منطقة باقرمي؛ حيث ورث العلم والأدب عن أبيه وجده، فقد كان والده وجده من أبرز العلماء في مملكة باقرمي حيث تم تكريمهم من قبل سلطان باقرمي واقتطع لهم أراض كما هي عادة ملوك وسلاطين المنطقة مع العلماء. وقد كان له إنتاج شعري جميل تمثل في الشعر الصوفي وهو شعر ديني يقرضه العلماء وفيه قصائد جميلة تستحق الدراسة والتحقيق، لذلك وقع اختيارنا هذه المرة على قصائده.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على علم من أعلام المنطقة التي شهدت حضارة وأدبا وثقافة عربية، والتعرف على شخصية عاشت في هذه المنطقة وتعلقت بالعلم والأدب وأنتجت في مجال الشعر أعمالا قيمة لم يتم التنبه إليها ودراستها وتحقيقها، ومنها ثلاث قصائد تم تخميسها من قبل الشيخ محمد نور على الطريقة المعروفة في ذلك الوقت.

وتأتي أهمية هذا البحث من أنه يقدم نموذجاً من أعلام تشاد الذين قرضوا الشعر العربي في بيئة بعيدة عن العالم العربي بمفهومه الحالي، وضرورة التعرف على نتاجهم وأدبهم شعرا ونثرا، وهو نتاج لم يأت عن فراغ، بل دليل جهود قام بها رجال حرصوا على نشر العلم والأدب باللغة العربية لغة المسلمين التي يؤدون بها شعائرهم الدينية، وعن طريقها يتعرفون على نتاج الحضارة من علم وأدب، وهو يعد تأصيلا لواقع الشعر والأدب العربي التشادي الذي يشهد اليوم نهضة وتطورا كما وكيفا، يشهد على ذلك كم الدواوين الشعرية التي صدرت في السنوات الأخيرة، وهناك الكثير الذي لم يطبع حتى الآن.

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي في التعريف بهذا العالم الأدبي ونتاجه الذي خلفه من المخطوطات وسينقسم إلى ثلاثة أقسام سيتحدث أولها عن سيرة حياة الشيخ محمد نور بن محمد برمة والبيئة التي نشأ فيها وتأثره بوالده، وسيتحدث

ثانيها عن نماذج لقصائده ودراستها وتحليلها خاصة القصائد التخميسية لمعرفة قيمتها الأدبية الجمالية، أما ثالثها، ففيه مقارنة بينه وبين آخرين من علماء وأدباء قرضوا الشعر في المنطقة نفسها التي عرفت هذا النوع من الشعر العربي وقبل ذلك بدأت بمدخل الى مملكة باقرمي الاسلامية ، ويختم البحث بخلاصة وتوصيات.

مدخل إلى مملكة باقرمي

قامت مملكة باقرمي في الجنوب الشرقي من بحيرة تشاد وحاضرتها (ماسينيا) وذلك عام **1513م وأول ملوكها إسلاما هو السلطان عبد الله بن مالو**، وكان له شأن كبير في توطيد ونشر الإسلام في المنطقة. وسكانها ينتمون إلى أصول عدة، فمنهم الكانوري والباقرمي والعرب. وكان للتجمع القبلي دوره في نشر الثقافة العربية الإسلامية، فعندما يعتنق الملك الإسلام سرعان ما يعتنق كل من تحت لوائه الإسلام.

وقد تولى السلطان عبد الله الملك عام 1568م ومن ثم أدخل النظم وأسس المؤسسات الإسلامية للعبادة والدراسة، ونشر الفكر التربوي التعليمي الإسلامي. ومن أشهر ملوك السلطنة محمد الأمين، ويعد عهده العصر الذهبي للملكة، وقد حج إلى بيت الله وقام بنشر الإسلام في بلاده إلى درجة كبيرة[1].

وقد اتخذت السلطنة اللغة العربية لغة الدواوين والشريعة الإسلامية مصدرا للحكم. وقد اهتموا بدراسة القرآن الكريم وتعاليمه، كما كان لظهور العلماء والمفكرين دور أساسي في نشر العربية، ومن أبرز هؤلاء العلماء الجهابذة محمد الوالي، وله عدة مؤلفات تبين مكانته العلمية المرموقة، وقد أخذ علمه من تمبكتو، والشيخ سليمان بن محمد المتوفى بالقاهرة 1806م . كل ذلك أدى إلى نشر العربية في ربوع المملكة.

وظلت في هذا العطاء حتى دخول الفرنسيين، حيث وقعت معاهدة الحماية بين (عبد الرحمن قاورنج) الثاني سلطان باقرمي و(إميل جانتي) مفوض الحكومة الفرنسية في مدينة ماسينا في أكتوبر 1891م[2].

1. محمد النظيف يوسف: محطات من الأدب العربي في تشاد–بحوث ودراسات أدبية محكمة–دار الفضيلة، القاهرة، ط1، 2016م، ص 36.

2– فضل كلود الدكو: الثقافة الإسلامية في تشاد، في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم في الفترة من 600–1000هـ/1200–1600م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1998م، ص 307.

لا زال بعض إرث المملكة العلمي محفوظا في الأرفف والبعض الآخر ضاع بحكم الزمن وعدم الاهتمام والعناية، وما بقي منه في أغلبه متوفر في مكتبات أسر أبناء وأحفاد العلماء الذين يجهل البعض منهم قيمة هذا التراث، بحكم جهلهم أو تعليمهم بالفرنسية وابتعادهم عن طريق آبائهم، وحتى لو احتفظوا به فهو من جانب التفاخر بتراث آبائهم ليس إلا، وهذا ما لاحظناه كثيرا عند بحثنا عن المخطوطات العلمية الموجودة بحوزة هذه الأسر.

وهناك أبحاث علمية قيمة بجامعة الملك فيصل قد سلطت الضوء على بعض الجوانب التاريخية ودرست مؤلفات بعض العلماء مثل كتاب: الحضارة الإسلامية في مملكة باقرمي للدكتور محمد الأمين الأبقاري وغيرها من الدراسات التي لم تطبع بعد، لكن لم يدرس الجانب الأدبي في مملكة باقرمي بصورة كافية كما حصل لبعض علماء مملكتي وداي وكانم الأمر الذي يتطلب منا أن نساهم بشيء ولو قليل عن هذا الجزء من بلادنا.

- **المبحث الأول: مسيرة حياته:**

من هو محمد نور برمة البيلاوي؟

هو الفقيه العابد الناسك الصوفي المحقق سلالة الأكارم الأديب الشاعر الشيخ محمد نور بن الشيخ محمد برمة بن محمد نور البرناوي السيفي رحمه الله، ولد في قرية أجل الله، وهي قرية في المنطقة التي تولى أمرها والده وهي واقعة على شاطئ البطحاء، وذلك سنة 1338هـ .

نشأته:

نشأ في كفالة والده في قرية البيلي وهي إحدى البلدات التابعة لولاية شاري باقرمي، وتتبع تقليديا لمملكة باقرمي التي هاجر إليها جده ووالده، وهناك نشأ في بيئة أسرية محافظة لأنها ورثت العلم ، وهي أسرة يرجع أصل نسبها لملوك مملكة كانم العريقة التي حكمت منطقة السودان الأوسط لقرون عديدة، ثم استقلت بعض أجزائها أو ولاياتها في شكل ممالك وسلطنات مستقلة، مثل باقرمي ووداي[1].

1 – حامد هارون محمد: الشعر العربي الحديث في تشاد–رواده واتجاهاته–مطبعة الأفست، القاهرة، ط1، 2016م،

وفي بيئة مثل هذه وأسرة بهذه الصفات نشأ الطفل محمد نور نشأة صالحة، أساسها التعليم والتربية الدينية والصلاح والتقوى والورع، والهم الأول للأسرة هو يرث الطفل الجديد علم ومعرفة وصلاح آبائه وأجداده وفعلا تحقق للأسرة ما أرادت فقد سلك الابن سبيل الآباء وها هو يتوجه لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم ككل أقرانه في ذلك الوقت ليبدأ بها مسيرته العلمية.

تعليمه:

أولا أنضم إلى كتاب بلدته، وختم القرآن على يد شيخه في البلدة الشيخ دهب الوداوي، وهذه مرحلة الأساس في ذلك الوقت يمر بها كل طالب علم، لأنه عن طريق حفظ القرآن الكريم يتعلم الطفل مبادئ القراءة والكتابة والإملاء، ثم يترقى رويدا رويدا مع تقدمه في حفظ القرآن الكريم، وفي هذه المرحلة غالبا لا يهاجر الطفل إلى مكان بعيد، بل يكون قريبا من أسرته لحاجته إلى الرعاية والتوجيه في وقته المبكر هذا، خصوصا أن أسرة الشيخ محمد نور نفسها أسرة علم، وفي مثل هذه الأسرة يوجد من يراجع للطفل دروسه حتى في البيت سواه من الإخوة الكبار أو الأعمام أو حتى من تلامذة والده الكثر الذين لا يغيبون عن حلقات والده العلمية.

ثم انتقل بعد ذلك إلى مراحل متقدمة في التعليم، وهي تعلم الكتب الأولية في الفقه مثل الأخضري والعشماوية والعزية، وكتب الحديث كحديث الأربعين ، وكتب النحو كالأجرومية وقطر الندى والألفية وغيرها.

ثم سافر إلى أبشة عاصمة العلم والعلماء في ذلك الوقت لمتابعة دراساته العليا، وهي مرحلة تتطلب أساسا من كل علم يساعده على الالتحاق بحلق كبار العلماء في أمهات كتب الفقه والأصول والحديث واللغة والأدب.

وهناك في أبشة، درس أمهات كتب النحو على الشيخ آدم القرعاني وهو من علماء النحو واللغة في وقته في المدينة، وتضم حلقته طلابا يتجمعون من كل حدب وصوب.

ودرس ابن عاشر ومختصر البخاري لابن أبي جمرة على الشيخ صالح الجلابي، وهو أيضا من العلماء المشهورين أصحاب المدارس الكبرى بالمدينة يرتاده حلقته عدد كبير من طلاب العلم والمعرفة من شتى أقاليم البلاد.

ثم أخذ التفسير عن الشيخ العالم الصوفي فضل بن بريش أحد أعلام التفسير في المدينة، فقرأ عليه تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، وهو أشهر كتاب يدرس في التفسير في ذلك الوقت في مدينة أبشة، كما درس عليه حاشية العلامة الصاوي في الفقه المالكي.

رجوعه إلى بلاده:

ثم رجع الشيخ محمد نور البيلاوي إلى بلدته البيلي وأخذ العلم عن والده في أمهات كتب الفقه والحديث واللغة والأدب، حيث درس عليه في الفقه مختصر العلامة خليل في الفقه المالكي، وأخذ عليه التحفة وأسهل المسالك أيضا في الفقه المالكي، ودرس على والده في مجال التفسير، كتاب تفسير الجمل على الجلالين ، وفي الأدب درس على والده مقامات الحريري والشعراء الست بالجاهلية، أما في الحديث وعلومه، فقد درس على والده الجامع الصحيح على البخاري، وصحيح الإمام مسلم ونسيم الرياض على الشفاء للحافظ الخفاجي، والمنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، وسراج القاري على صحيح البخاري للعلامة القسطلاني، وغيرها من أمهات كتب الحديث وعلومه.

صفاته:

كان رجلا كريما متواضعا يحب العلم وأهل العلم، ويقدر آل البيت النبوي الشريف، وكان له تأثير قوي على تلامذته وأتباعه، وقد ورث ذلك لأبنائه من بعده، وكانت بلدته البيلي بمثابة مدينة علم صغيرة يؤمها طلاب العلم الشرعي وعلوم اللغة والأدب والحديث والتفسير، فقد كانت مدرسته عامرة بطلابها وهي بلدة مشهورة في مملكة باقرمي، كما أن مكانته عند سلطان باقرمي كبيرة، وقد حصل بين الأسرتين مصاهرة قربت من وشائج الدم والدين معا، لذلك تعتبر البيلي وما حولها أرض ممنوحة لأسرة

الشيخ من قبل سلطان باقرمي كما هي العادة في ذلك الوقت، وقد حصل لكثير من العلماء في تاريخ الممالك الإسلامية من كانم ووداي وباقرمي مثل هذا، فقد يقوم السلطان بإصدار أمر سلطاني (محرم) يمنح بموجبه قرية أو قرى كاملة لأحد العلماء، وفي الأمر يشدد على حرمة الاعتداء على أراضي هذا العالم ، ويذكر أنها له ولخلفه من بعده إلى يوم القيامة، وهذا دليل على مكانة العلم والعلماء في تلك الممالك، والشيخ محمد نور ليس استثناء من ذلك[1].

تأثره بوالده:

كان لوالده وجده تأثير كبير على حياته، فقد كان الاثنان من كبار العلماء العاملين، ومن الأصفياء المتقين اشتهرا في المنطقة بالعلم والصلاح والأدب، فقد تعلم على يد والده أمهات كتب الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والتفسير وعلوم القرآن، وكتب الأدب العربي التي تمت الإشارة إليها سابقا، بالإضافة إلى علوم التصوف والتزكية والسلوك، وقد كان علم التصوف ضمن العلوم الأساسية التي تدرس بجانب العلوم الشرعية وعلوم اللغة والتفسير والأدب في ذلك الوقت وحتى اليوم.

- **المبحث الثاني: شعر الشيخ محمد نور البيلاوي**

نشأ الشيخ محمد نور البيلاوي في بيئة علمية كما ذكرنا سابقا، فهو ابن عالم وحفيد عالم، وفي هذه البيئة العلمية والثقافية ظهر النبوغ المبكر للشيخ محمد نور الذي درس الشعر من مصادره الأصلية مثل أمهات كتب الأدب، ودواوين الشعر الجاهلي، وكما هي العادة في ذلك الوقت يكون أغلب الشعر للأغراض الدينية مثل مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وآل بيته رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك المشايخ والعلماء والأساتذة، وهذا النوع يكون إما بتأليف قصائد أو تخميس أخرى، وهذا فن متبع كثيرا في تلك الفترة، ولا يقل التخميس أهمية عن التأليف، فهو شبيه بالمعارضة الشعرية،

1- مخطوط: الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار" للشيخ الشريف إبراهيم صالح بن يونس الحسيني النيجيري. مفتي نيجيريا.

حينما يقول شاعر بيتا ويأتي آخر يعارضه بنفس المقاييس، فالتخميس من الناحية الفنية شبيه بالمعارضة.

وقد قام الشيخ محمد نور بكتابة قصيدته **مجموعة الضراعة في مائة وأربع وعشرين بيتا كما قام بتخميس ثلاث قصائد، إثنين منها في الشيخ الحاج إبراهيم الكولخي، الأولى منهما قالها العلامة الغني عن العلامة الشيخ أحمد سكيرج** يشهد فيها بالفتح للشيخ إبراهيم التي منها[1]:

شهدت لكم فتحا مبينا بما لكم به الله من بين البرية قد خصا

والثانية قالها بعض الشناقيط يشهد فيها بالفتح للشيخ الغوث إبراهيم الكولخي والتي جاء فيها:

هو الفيض لا يخفى على من تبصرا فمن شاء يأتيه ومن شاء أنكرا

والقصيدة الثالثة هي للشيخ القطب ابي مدين يذكر فيها عدة آداب تلزم المريد مع شيخه.

نبدأ بقصيدة الشيخ أبي مدين التي قام الشيخ محمد نور بتخميسها، وابتدأ فيها بالحمد لله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بدأ بتقديم النصيحة لاختيار الصحبة الصالحة التي ينبغي للإنسان أن يستفيد منها، وتتمثل في مصاحبة الرجال العارفين الذين يدلون المريد على طريق الخير، ففي المفهوم الصوفي أن من لم يجد شيخا يقود على طريق الحق ومعرفة الله سبحانه وتعالى للتمييز بين الحق والباطل، فإنا بلا شك سيغويه الشيطان ويكون شيخه بدل الشيخ العارف، لأن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، لذا ينصح باتخاذ شيخ عارف يلازمه المريد في حياته[2].

1- منظومة الضراعة للشيخ محمد نور بن برمة البيلاوي" وهي مخطوطة منسوخة من مكتبة الدكتور محمد صالح أيوب. مكتبة الباحث

2- مخطوط: الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار" للشيخ الشريف إبراهيم صالح بن يونس الحسيني النيجيري. مفتي نيجيريا

يقول الشيخ:

الحمد لله الذي أنشا خلقه فطرا ثم الصلاة على المختار عد ثرى

وبعد فاسعد بنصح السادة الكبرى ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا

هم السلاطين والسادة الأمرا

فتب إلى الله حقـا يا مصاحبهم من كان ذنبا سريعا يا ملازمهم

واخلص لهم نية إن كنت تخدمهم فاصحبهم وتأدب في مجالسهم

وخل حظك مهما قدموك ورا

وزن أمورك واستسلم لأمرهم وانصح لهم دائما في الاعتقاد بهم

بذلك تسعد يا من كان يخدمهم واستغنم الوقت واحضر دائما معهم

واعلم بأن الرضا يخص من حضر

ولا تتبع لعورات الكرام يـدا كلا ولا بمرايا صاحبي أبـدا

وذاك إبليس يبدي لك ما تجدا ولا ترى العيب إلا فيك معتقدا

بأنه بين لو لم يكن ظهرا

ونق جسمك بالتطهير من جرب الأوزار وامسك بهم بكلما يجب

واحذر تكن خائنا في حقهم تصب وحط رأسك واستغفر بلا سبب

وقم على قدم الإنصاف معتذرا

ثم اغترف دائما من بحرهم وأشم روائح القوم واستنشق بهم فتقم

من داء قلبك إن قلت استفق فيهم وإن بدا منك عيب فاعترف وأقم

وجه اعتذارك عن ما فيك منك جرى

وللشيخ محمد نور قصيدة مكونة من مائة وثمانية وعشرين بيتا في التضرع، وهو نوع من الأدعية المنظومة التي تقرأ للتضرع إلى الله سبحانه وتعالى لكشف الكرب والهموم، والاستغاثة بالله ورسله والأولياء الصالحين، يتعرض العلماء لعداوات وتهديدات، ويتعرضون لابتلاءات في حياتهم فيلجئون إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع من أجل كشف الكروب فيؤلفون منظومات يستفيد منهم تلامذتهم وأتباعهم.

يبدأ قصيدته كالعادة بحمد لله سبحانه وتعالى، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وهو أمر معتاد عند العلماء المسلمين في افتتاح أي عمل يقومون تأليفا أو نظما أو حديثا، فيقول[1]:

نحمدك اللهم يا قيوم حمدا به تفرج الهموم

ثم الصلاة والسلام سرمدا على شفيع المذنبين أحمدا

وآله والصحب ما فاح أرج وما دنا وقت السرور والفرج

وبعد الافتتاح بالثناء على الله ورسوله ينطلق مباشرة إلى هدفه الأساس وهو الشكوى من غلبة الأعداء والاستعانة بالله سبحانه وتعالى والتوسل بأسمائه وصفاته، وبالمقربين من ملائكته، طالبا منه تفريج كربه، والكرب إما أن يكون خوفا من عداوة سلطان أو صاحب جاه أو قد يكون من منافس آخر يتربص به، وقد يكون الكرب ظرفا ماديا يمر به في حياته ومعاشه فيلجأ إلى الله تعالى ويطلب منه الفرج، وهنا يرى العالم العامل اللجوء إلى الخلق وطلب المعونة منهم قدحا في العالم وتقليلا من شأنه، ومهانة للعلم والعلماء، فالعالم قدوة للناس ولا يهين نفسه بالتذلل لأصحاب الجاه والسلطة، بل يسأل الله تعالى وهو يسخر عباده لعباده الصالحين، ويبدأ التضرع فيقول[2]:

1- انظر المخطوطة مخطوط: الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار" للشيخ الشريف إبراهيم صالح بن يونس الحسيني النيجيري. مفتي نيجيريا

2- انظر المخطوط بالملحق مخطوط: الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار" للشيخ الشريف إبراهيم صالح بن يونس الحسيني النيجيري. مفتي نيجيريا

وبعـد ذا فإننـــي غلبت ثم دعـوت الله واستعنـت

بما له مـــن ملك مقرب بذاتـك القديمة افرج كرب

بجاه سيـدي رسـول الله محمد خـاتم رســل الله

ثم بجــاه أنبيــاء الله فـرج لنا يا رب يــا إلـه

ثم يتوسل بالخلفاء الراشدين الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فيقول:

وأســأل اللهم بالخليفة صديقنا ذي الرتبة المنيفة

أيا أمير المؤمنين عمرا عبيدكم هل تنقذوه أسرا

وناديا سيـدنا عثمـانا هـلا أغثت باكيا ولهانا

ثـم بجاه سيدي علي زوج البتول العالم المرضي

وهكذا يستمر الشيخ متوسلا بالعشر المبشرين بالجنة الذين ورد ذكرهم في الأحاديث الصحيحة، وهم الخلفاء الراشدون الأربعة ومعهم ستة من سادة الصحابة الكرام، ثم كبار الصحابة كعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

ثم يتوسل بالأولياء والصالحين من أصحاب الشيخ أحمد التجاني الكبار الذين هم خلفاؤه في الطريقة التيجانية ، تلك الطريقة المنتشرة في المنطقة المعروفة اليوم بين المغرب والجزائر وموريتانيا حتى تشاد والسودان شرقا، يقول الشيخ:

بجـاه مالـه من البــدور يا رب ارحم عبدك الفقير

بحب طه المصطفى ابن العرب يا رب فرج لي كل كرب

وبخـديمه علـي حــرازم يارب ادفع كيد كـل ظالم

وبالفقيه العالم ابـن المشري ألا ترون ما بنا مـن أسر

بالتونسي سيـدي محمـود يا ربنـا بلـغ لنا المقصود

وهكذا يستمر إلى آخر القصيدة، ويختم كما بدأها أول مرة بالثناء على الله والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم إذ يقول[1]:

وجاه ختم المرسلين أحمدا صلى عليه الله ما دام المدى

وآلــه وصحبه الأخيار ما قرد القمري في الأسحار

وما دعى داع بصدق النية لدى الصباح ثم في العشية

والحمــد لله وفي المراد وزالت الهمــوم والأنكاد

- **المبحث الثالث: المقارنة الفنية**

في هذه القصائد التي قام بتخميسها الشيخ محمد النور، أو في منظومة الضراعة التي ألفها كما ذكرنا سابقا في مائة وثمانية وعشرين بيتا، نكتشف ملكة قوية للشيخ في اللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة، هذه الملكة نابعة من ثقافة عالية في العلوم اللغوية والأدب العربي، بالإضافة إلى ثقافة تاريخية وجغرافية تظهر جليا لمتتبع القصيدة من خلال ذكر الأشخاص والأماكن والأحداث، ومفردات معجمية لم تكن مستعملة في البيئة المحلية، هذه الملاحظة تجعلنا نلاحظ فرقا كبيرا بين منظومة الضراعة للشيخ محمد نور ومنظومات مماثلة لعلماء في نفس الفترة التي عاش فيها أو في فترات سابقة، ففي بعض القصائد والمنظومات أحيانا نجد الأخطاء واضحة في الوزن والقافية، وكذلك الركاكة في الألفاظ مفردات وجملا، وكذلك استعمال مفردات محلية غير فصيحة أحيانا أخرى.

والشيخ محمد نور قد درس أمهات الأدب العربي وتثقف كثيرا بالاطلاع على كتب اللغة والتاريخ والسير ما أكسبه سليقة في التعبير الحي حي مراده، من دون الاضطرار إلى استعمال مفردات عامية لا تعبر عن ذوق أدبي عال للشاعر.

1- انظر المخطوط بالملحق مخطوط: الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار" للشيخ الشريف إبراهيم صالح بن يونس الحسيني النيجيري. مفتي نيجيريا

في بعض القصائد تجد صعوبة في إكمال القصيدة وأحيانا تنصرف عنها بعد قراءة بيتين أو ثلاثة، لأنك تجد فيها الخلل في اللفظ والمعنى، وعندما وجدت مخطوطات الشيخ محمد نور لم أجد فيها صعوبة تذكر، إلا من بعض النقلة الذين هم في الغالب ينقلون هذه المخطوطات بطريقة خاطئة بسبب خلل في الإملاء، وهم في الغالب لم يكن لهم إلمام باللغة العربية وعلومها فيرفعون وينصبون من دون مراعاة حتى للأمانة العلمية للنقل، ولكن عندما وجدت المخطوطة الأصلية تبين لي بعدها أن الخطأ لم يأت إلا للسبب الذي ذكرته سابقا.

وخلاصة هذه المقارنة أن منظومة الشيخ محمد نور برمة والقصائد التي قام بتخميسها والتي أوردها الشيخ إبراهيم صالح تبين لها مدى ملكة الشيخ اللغوية والأدبية التي تستحق الدراسة والتحليل.

- **خلاصة**

خلص البحث إلى أن دراسة شخصية علمية وأدبية مثل الشيخ محمد نور برمة البيلاوي يتطلب تتبعا دقيقا لمسيرته الحياتية والبيئة التي نشأ فيها والكتب التي قرأها وكذلك العلماء الذين تعلم على أيديهم، ثم الاطلاع على إنتاجه العلمي للحكم من خلاله على مؤهلاته العلمية والأدبية ثم المقارنة العادلة بين إنتاجه العلمي والأدبي وبين آخرين معاصرين له أو سابقين.

وفي هذا البحث اطلع الباحث على مخطوطات الشيخ محمد نور وقرأ ما كتب عنه وخاصة كتاب العلامة الشيخ إبراهيم صالح بن يونس الحسيني النيجيري المخطوط: (الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار) وهو كتاب قيم أورد فيه الشيخ إبراهيم صالح سيرة عدد من علماء المنطقة، ومنهم والد الشيخ محمد نور الشيخ برمة بن محمد نور، وجده القاضي محمد نور الدليل، والثلاثة من أشهر علماء سلطنة باقرمي، ومن الذين يشار إليهم بالبنان في منطقة تشاد عموما.

كما التقى الباحث بابنة الشيخ محمد نور، وهي الوزيرة مريم محمد نور الوزيرة الأمينة العامة للحكومة التشادية حاليا، ووزيرة التخطيط في تشاد سابقا، والتي كانت

قريبة من والدها وتعرف الكثير عن تفاصيل حياته باعتبارها الابنة الكبرى، وقد اطلع الباحث على جزء من مذكراتها التي لم تطبع بعد وهي الآن في مرحلة التسويد، وقد أوردت فيها حقائق عن أجدادها ووالدها، وهذين المرجعين هما الأساس لهذا البحث بالإضافة لمخطوطات الشيخ محمد نور بن برمة نفسه كما ذكرنا سابقا.

- **التوصيات:**

يوصي الباحث بالآتي:

- دراسة مسيرة الشيخ محمد نور العلمية وتسليط الضوء على جوانب أخرى من حياته العلمية.
- تحقيق مخطوطاته العلمية وقصائده الشعرية وطباعتها حتى يستفيد منها دارسو الأدب العربي.
- فتح معهد أو مدرسة باسم الشيخ محمد نور برمة البيلاوي وخاصة في بلدته (البيلي) لتخليد ذكراه، وإحياء المسيرة العلمية لهذه الأسرة في المنطقة.
- عدم تركيز البحوث العلمية في الجامعات التشادية على دراسة الإنتاج الأدبي لشخصيات قتلت بحثا وعرف عنها الكثير، والتنقيب عن كثير من العلماء الذين لم يسلط الضوء عليهم بعد مثل عائلة الشيخ محمد نور.

- **مصادر ومراجع الدراسة:**

هناك أربع مصادر أساسية لهذا البحث:

الأول: مخطوط: الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار" للشيخ الشريف إبراهيم صالح بن يونس الحسيني النيجيري. مفتي نيجيريا. مكتبة الباحث

الثاني: مقابلة مع ابنة الشيخ الوزيرة مريم محمد نور بتاريخ 12و13 و14 شهر مارس 2018م في منزلها.

الثالث: مسودة كتاب باللغة الفرنسية– غير مطبوع–عبارة عن مذكرات للوزيرة مريم ابنة الشيخ محمد نور.

الرابع: منظومة الضراعة للشيخ محمد نور بن برمة البيلاوي" وهي مخطوطة منسوخة من مكتبة الدكتور محمد صالح أيوب.

مراجع مستفاد منها:

1. –آدم علي محمد العلاقات بين مملكة وداي وباقرمي بحث تكميلي لنيل درجة الدبلوم في التاريخ والحضارة جامعة الملك فيصل غير منشور 1999 م
2. حامد هارون محمد: الشعر العربي الحديث في تشاد–رواده واتجاهاته–مطبعة الأفست، القاهرة، ط1، 2016م،
3. فضل كلود الدكو: الثقافة الإسلامية في تشاد، في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم في الفترة من 600–1000هـ/1200–1600م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1998م.
4. الماتريدي محمد تجاني: الشيخ الطاهر التلبي–حياته وشعره–رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الملك فيصل، 2005م،
5. محمد النظيف يوسف: محطات من الأدب العربي في تشاد–بحوث ودراسات أدبية محكمة–دار الفضيلة، القاهرة، ط1، 2016م.

مخطوط

الاستذكار لما لعلماء كانم برنو من الآثار

للشيخ الشريف إبراهيم صالح بن يونس الحسيني النيجيري(مفتي نيجيريا)

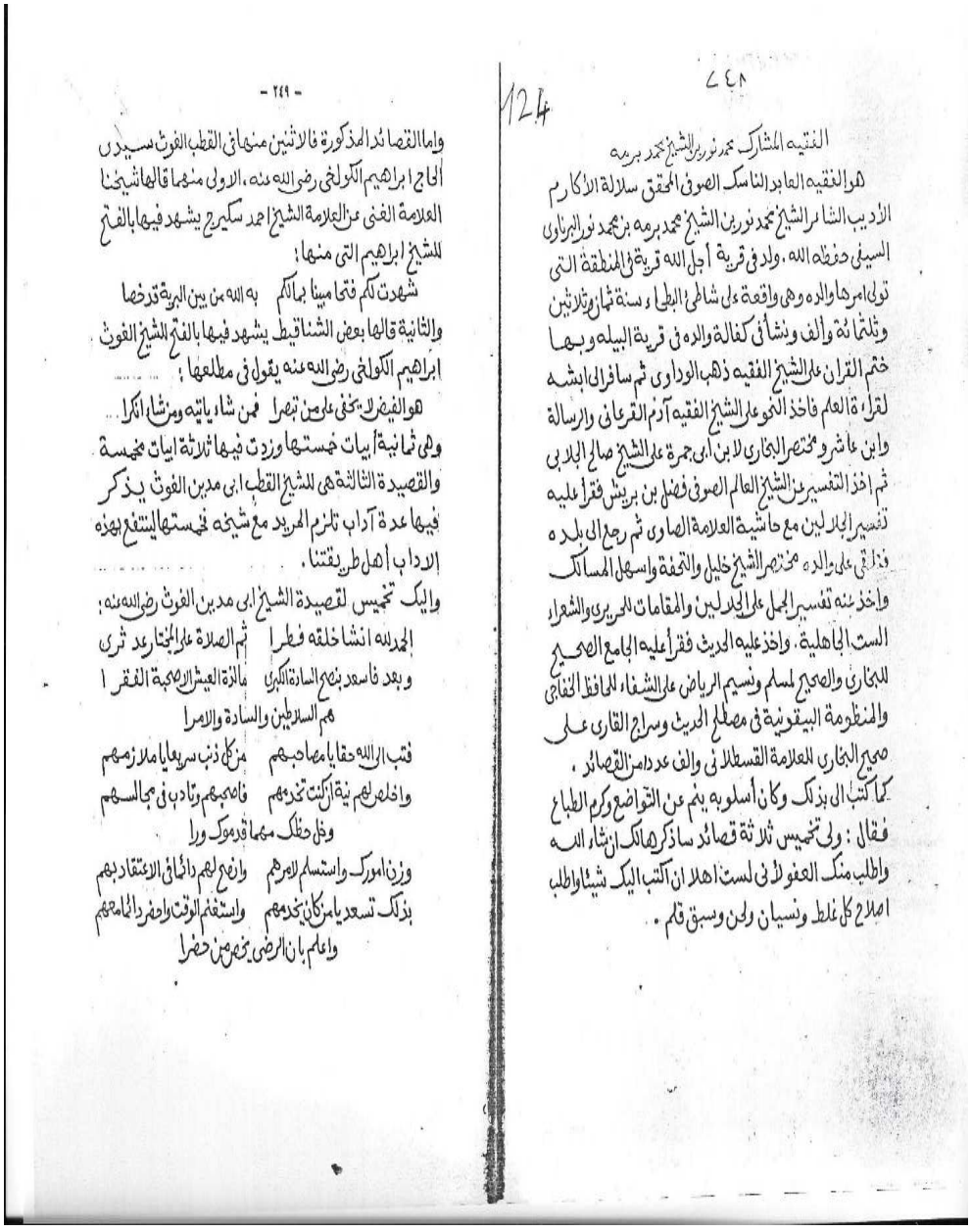

٤٨ ٧

124

الفقيه المشارك محمد نور بن الشيخ محمد برمه

هو الفقيه العابد الناسك الصوفي المحقق سلالة الأكارم الأديب الشاعر الشيخ محمد نور بن الشيخ محمد برمه بن محمد نور البرناوي السيفي وفقه الله. ولد في قرية أجلي الله قرية في المنطقة التي تولى امرها والده وهي واقعة على شاطئ البطا وسنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وألف ونشأ في كفالة والده في قرية البيله وبها ختم القرآن على الشيخ الفقيه ذهب الوداوي ثم سافر الى ابشه لقراءة العلم فاخذ النحو على الشيخ الفقيه آدم القرمان والرسالة وابن عاشر ومختصر البخاري لابن ابي جمرة على الشيخ صالح البلدي ثم اخذ التفسير من الشيخ العالم الصوفي فضلي بن بريش فقرأ عليه تفسير الجلالين مع حاشية العلامة الصاوي ثم رجع الى بلده فاقام على والده مختصر الشيخ خليل والتحفة واسهل المسالك واخذ منه تفسير الجمل على الجلالين والمقامات للحريري والشعراء الست الجاهلية. واخذ عليه الحديث فقرأ عليه الجامع الصحيح للبخاري والصحيح لمسلم ونسيم الرياض على الشفاء للحافظ الخفاجي والمنظومة البيقونية في مصطلح الحديث وسراج القارئ على صحيح البخاري للعلامة القسطلاني والف عدة دامن القصائد.

كما كتب الى بذلك وكان أسلوبه ينم عن التواضع وكرم الطباع فقال: ولي تخميس ثلاثة قصائد ساذكرها لك ان شاء الله واطلب منك العفو لأني لست اهلا ان اكتب اليك شيئا واطلب اصلاح كل غلط ونسيان ولحن وسبق قلم.

- ٢٤٩ -

واما القصائد المذكورة فالاثنين منها في القطب الغوث سيدي الحاج ابراهيم الكولخي رضي الله عنه، الاولى منهما قالها شيخنا العلامة الفنى عن العلامة الشيخ احمد سكيرج يشهد فيها بالفتح للشيخ ابراهيم التي منها:

شهدت لكم فتحا مبينا بأنكم ... به الله من بين البرية قد خصا

والثانية قالها بعض الشناقيط يشهد فيها بالفتح الشيخ الغوث ابراهيم الكولخي رضي الله عنه يقول في مطلعها:

هو الفيض لا يخفى على من تبصرا ... فمن شاء يأتيه ومن شاء انكرا

وهي ثمانية أبيات خمستها وزدت فيها ثلاثة ابيات فخمسة والقصيدة الثالثة هي للشيخ القطب ابي مدين الغوث يذكر فيها عدة آداب تلزم المريد مع شيخه فخمستها ليستفيد بهذه الاداب أهل طريقتنا.

واليك تخميس لقصيدة الشيخ ابي مدين الغوث رضي الله عنه:

الحمد لله انشا خلقه فطرا ... ثم الصلاة على المختار ذي الاثر

وبعد فاسعد بنهج السادة الكبرى ... مالازة العيش الرضية الفقرا

هم السلاطين والسادة والامرا

قلب الى الله حقا يا مصاحبهم ... من كل ذنب سريعا يا ملازمهم

واخلص لهم نية ان كنت تخدمهم ... فاصحبهم وتادب في مجالسهم

وظل حفك مهما قد موك ورا

وزن امورك واستسلم لامرهم ... وارفع لهم دائما في الاعتقاد بهم

بذلك تسعد يا من كان يخدمهم ... واستغنم الوقت واحفظ انفاسهم

واعلم بان الرضى ممن حضرا

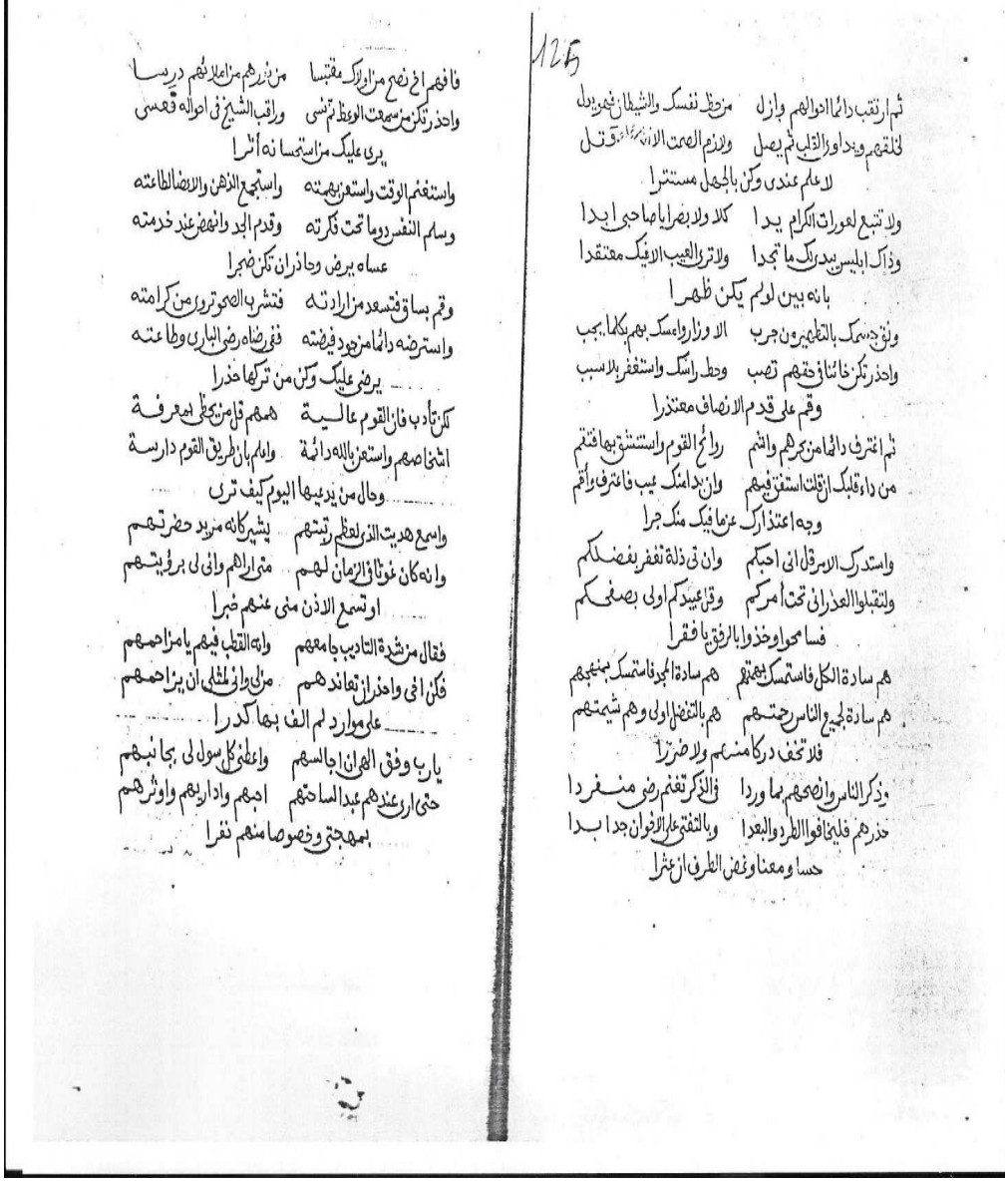

ثم ارقب دائما اقوالهم وازل مرض نفسك والشيطان فحو بدل
لخلقهم وبداواو القلب ثم يصلي ولازم الصمت الا عند قول
لا علم عندي وكن بالجهل مستترا
ولا تتبع لعورات الكرام يدا كلا ولا تضايا ها حبي ابدا
وذاك ابليس يبدي لك ما تجدا ولا ترى العيب الا فيك معتقدا
بانه بين لو لم يكن ظهرا
ونوجهك بالتظهير من جرب الا وزاروا مسك بهم بكما يجب
واحذر تكن خائنا في حقهم تصب وحط راسك واستغفر بلا سبب
وقم على قدم الانصاف معتذرا
ثم اعترف دائما من جرمهم واثم رواعي القوم واستثنى بها فتم
من داء قلبك ان قلت استثن فيهم وان بدا منك عيب فاعترف واثم
وجه اعتذارك عما فيك منك جرا
واستدرك الامر قل اني احبكم وان تي ذلة تغفر بفضلكم
ولتقبلوا العذر اني تحت امركم وقن عبيدكم اولى بصفحكم
فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا
هم سادة الكل فاستمسك بهديهم هم سادة المجد فاستمسك بمنهجهم
هم سادة لجميع الناس رحمتهم هم بالتقدم اولى وهم شيمتهم
فلا تخف دركا منهم ولا ضررا
وذكر الناس وانصحهم بما وردا فالذكر تفهم رضى منفردا
حذرهم فليخافوا الطرد والبعدا وبالتفرق عن الاخوان جدا بدا
حسا ومعنا وفض الطرف ان عثرا

فافهم اخي نصح من اوراك مقتبسا من نثرهم من املائهم درسا
واحذر تكن من سمعت الوعظ تم تنسى وراقب الشيخ في احواله فعسى
يرى عليك من استحسانه أثرا
واستغنم الوقت واستعن بهمته واستجمع الذهن والاعضا الطاعته
وسام النفس دوما تحت ذكرته وقدم الجد وانهض عند خدمته
عساه يرض وحاذران تكن ضجرا
وقم بساق فتسعد من ارادته فتشرب الصفو تترى من كرامته
واسترضه دائما من جود فيضته فتحوز رضاه رضى الباري وطاعته
يرضى عليك وكن من تركها حذرا
كن تأدب فان القوم عالية هم قلما من يحظى بمعرفة
اشخاصهم واستعن بالله دائمة واعلم بان طريق القوم دارسة
وحال من يدعيها اليوم كيف ترى
واسمع هديت الذي لعظم رتبتهم يشير كانه مزيد حضرتهم
وانه كان نوتا في الزمان لهم مثل الهم واني لي برؤيتهم
او تسمع الاذن مني عنهم خبرا
فقال من شرفة التاديب جامعهم وانه القلب فيهم يا مزاحمهم
فكن اخي واحذران تعاند هم مثلي واني لمثلي ان يزاحمهم
على موارد لم الف بها كدرا
يارب وفق الهي ان اجالسهم واعطني كل سول لي بجانبهم
حتى ارى عندهم بعد الساعتهم اجمعهم واداريهم واوثرهم
بمهجتي وخصوصا منهم نفرا

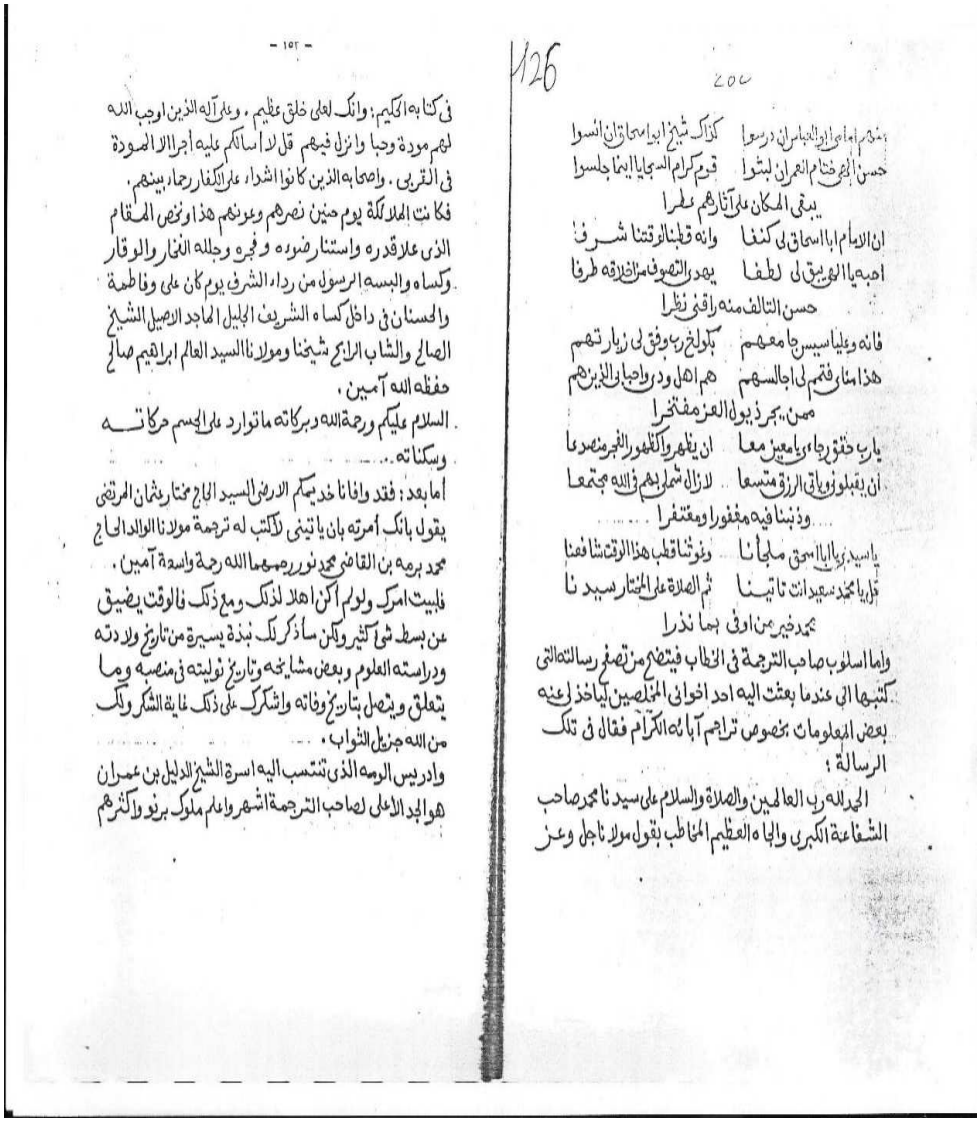

126

ثم الصلاة على المختار سيدنا
محمد خير من اوفى بما نذرا

ولما اسلوب صاحب الترجمة فى الخطاب فيتضح من تصفح رسالته التى كتبها الى عندما بعثت اليه احد اخوانى المخلصين ليأخذ اجازته بعض المعلومات بخصوص تراجم آبائه الكرام فقال فى تلك الرسالة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الشفاعة الكبرى والجاه العظيم المخاطب بقول مولانا جل وعز

- ١٥٢ -

فى كتابه الكريم : وانك لعلى خلق عظيم ، وعلى آله الذين اوجب الله لهم مودة وجبا وانزل فيهم قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى . واصحابه الذين كانوا اشداء على الكفار رحماء بينهم .

فكانت الملائكة يوم حنين نصرهم وعونهم هذا ونحن المقام الذى علا قدره واستنار ضوءه وفجره وجلله الفخار والوقار وكساه والبسه الرسول من رداء الشرف يوم كان على وفاطمة والحسنان فى داخل كساء الشريف الجليل الماجد الاصيل الشيخ الصالح والشاب الرابح شيخنا ومولانا السيد العالم ابراهيم صالح حفظه الله آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما توارد على الجسم حركاته وسكناته .....

أما بعد : فقد وافانا خديمكم الارضى السيد الحاج مختار عثمان المرتضى يقول بانك أمرته بان يأتينى لأكتب له ترجمة مولانا الوالد الحاج محمد برمه بن القاضى محمد نور رحمهما الله رحمة واسعة آمين .

فلبيت امرك ولو لم أكن اهلا لذلك ومع ذلك فالوقت يضيق عن بسط شئ كثير ولكن سأذكر لك نبذة يسيرة من تاريخ ولادته ودراسته العلوم وبعض مشايخه وتاريخ توليته فى منصبه وما يتعلق ويتصل بتاريخ وفاته واشكرك على ذلك غاية الشكر ولك من الله جزيل الثواب .

وادريس الوصه الذى تنتسب اليه اسرة الشيخ الدليل بن عمران هو ابن الاعلى لصاحب الترجمة اشهر واعلم ملوك برنو واكثرهم

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا قيوم حمدا به تفرج الغموم
ثم الصلاة والسلام سرمدا على شفيع المذنبين احمدا
وآله والصحب ما قام ارج وما دنا وقت السرور والفرج
وبعد ذا [illegible] فانني غلبت ثم دعوة الله واستغنت
بماله مرمى كمقرب بذاتك القديمة الكشوف
بجاه سيدي رسول الله محمد خاتم رسل الله
ثم بجاه انبياء الله فرج لنا يارب يا اله
واسأل اللهم بالغ يقيه صديقنا ذي الرتبة العليه
ايا امير المومنين عمرا عبيدكم هل تنفذوه اسرا
ونادِ يا سيدنا عثمانا هلا اغثت باكيا لهفانا
ثم بجاه سيدي علي زوج البتول العالم المرضي
ايا زبير ثم يا سعيد في شدة دعاكم العبيد
ثم بطلحة دعوة الله في دفع كربنا بجاه طه
بسيدي سعد ابي وقاص هل تحسنون سادتي خلاصي